

أنوار كاشفة سلسلة: من يقول الناس إنني أنا؟ الحلقة الأولى

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. لا بد أنك تساءلت مرة: ما هي حقيقة شخصية المخلص يسوع المسيح. هل هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم هو شخصية مختلفة تماماً؟

لقد طرح المخلص المسيح نفسه مرة هذا السؤال على تلاميذه. ويخبرنا البشير متى أنه لما جاء المسيح إلى نواحي قيصرية فيلبس، وكانت تقع إلى الشمال من بحر الجليل أو بحيرة طبرية في فلسطين، سأل تلاميذه قائلاً: "من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان. فأقولوا. قوم يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم وأنتم من تقولون إنني أنا. فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحما ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات." (بشارة متى ١٦: ١٣-١٧)

يبدو واضحاً أن المخلص المسيح أحسّ أن الوقت قد حان لكي يكشف حقيقة شخصيته إلى تلاميذه. فهو أجرى العجائب الكثيرة أمام أعينهم، وسمعوا تعاليمه الإلهية الباهرة، ولا بد أنهم اندهشوا بما رأوا وسمعوا. وعلاوة على ذلك فلا بد أن التلاميذ قد سمعوا تعليقات الناس المنبهرين بعجائب المسيح وأقواله، حول حقيقة شخصية المسيح. ولهذا أراد المسيح أن يعلم من تلاميذه ماذا يفكر الناس عنه. ولنلاحظ أن المسيح لم يسأل تلاميذه: من يقول الناس إنني أنا، بل: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ وكان المسيح غالباً يستخدم هذا التعبير للتعريف عن نفسه. فهو ليس مجرد إنسان كباقي الناس، لكنه كلمة الله الأزلي الذي تجسّد وصار إنساناً، لكي يحقق هدفاً معيناً.

لقد أجاب التلاميذ المسيح عن سؤاله بما سمعوه من الناس. ويبدو أن قسماً مهماً من الناس كان يظن أن المسيح هو يوحنا المعمدان، أي النبي يحيى. فلماذا ظن الناس أن المسيح هو يوحنا المعمدان؟ من المعروف أن يوحنا المعمدان كان قد بدأ خدمته في البرية قبل المسيح بستة أشهر، وكان يدعو الناس قائلاً: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات." (بشارة متى ٣: ٢) وكان يعمّد الناس التائبين في نهر الأردن. لقد كان يوحنا المعمدان إنساناً الذي أرسله الله لكي يمهّد الطريق أمام مجيء المخلص المسيح. وهو الذي قال عن المسيح: "ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذائه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار" (بشارة متى ٣: ١١) وعندما أتى المسيح إلى يوحنا المعمدان لكي يعتمد منه، اعترض يوحنا وقال له: "أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ!" لكن المسيح أجابه: "اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمّل كل بر." (بشارة متى ٣: ٤ و ١٥)

إذا كان يوحنا المعمدان نفسه قد اعترف أن المسيح أعظم منه، وهو الذي أتى لكي يمهد الطريق أمامه، فلماذا ظن الكثيرون من الناس بحسب إجابة التلاميذ أن المسيح هو يوحنا المعمدان؟ للإجابة عن هذا التساؤل الهام، لا بد أن نتحدث عما حصل مع يوحنا المعمدان. فلقد ألقى الملك هيرودس القبض عليه وطرحه في السجن. والسبب لأنه كان يقول له: لا يحق لك أن تأخذ هيروديا امرأة أخيك زوجة لك. وبمناسبة عيد ميلاده أقام الملك هيرودس حفلة كبيرة، رقصت خلالها ابنة هيروديا في الوسط، فسرت الملك هيرودس. فأقسم لها واعدا بأن يعطيها أي شيء تطلبه. وبعد استشارة أمها، طلبت منه أن يعطيها رأس يوحنا المعمدان على طبق. فحزن الملك هيرودس، ولكنه أمر بأن تعطى ما تريد، من أجل ما أقسم به. وأرسل إلى السجن وقطع رأس يوحنا المعمدان. وجاء بالرأس إلى الصبية، التي حملته إلى أمها هيروديا. وعندها جاء تلاميذ يوحنا ورفعوا جثمانه ودفنوه. (أنظر بشارة متى ١٤: ٣-١٢)

لقد انتهت حياة يوحنا المعمدان إذن بقطع رأسه. لكن بعد فترة من الزمن سمع الملك هيرودس بأخبار المخلص المسيح. فقال لخدامه: هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الموت، ولذلك يقوم بكل هذه المعجزات. (بشارة متى ١٤: ١ و٢) يبدو واضحا أن الملك هيرودس كان تحت تأنيب الضمير الشديد، لجريمة قتله لنبي معروف كيوحنا المعمدان. لهذا ظن أن المسيح هو يوحنا المعمدان وقد قام من الموت، ويصنع كل هذه العجائب الباهرة. ويبدو أن الكثيرين من الناس بعد أن اختفى النبي يوحنا المعمدان من أمام أعينهم، وأخذوا يرون المسيح ومعجزاته الكثيرة، ظنوا أيضا أن المسيح هو النبي يوحنا المعمدان نفسه، وقد ظهر في شخصية جديدة. لكن الحقيقة هي أن المخلص المسيح لم يكن هو يوحنا المعمدان أو النبي يحيى. لا بل إن يوحنا المعمدان كان هو الذي مهد الطريق أمام مجيء المخلص المسيح، بحسب نبؤات العهد القديم.

في إجابة التلاميذ للمسيح عن سؤاله: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ أجابوا: أولا يوحنا المعمدان، ثم النبي إيليا. فلماذا النبي إيليا؟ وهل كان الناس يتوقعون مجيئه؟ لو عدنا إلى العهد القديم من الكتاب المقدس لوجدنا نبؤة واضحة لنبي إسرائيل، عن مجيء النبي إيليا قبل مجيء المسيح. إذ نقرأ في سفر ملاخي آخر أسفار العهد القديم النبؤة التالية: "هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف. فيرد قلوب الآباء على الأبناء وقلوب الأبناء على آباءهم لتلا آتي وأضرب الأرض بلعن". (ملاخي ٤: ٥ و٦)

لقد وعد الله بني إسرائيل قديما إذن، أنه سيرسل لهم النبي إيليا قبل مجيء المخلص والمسيح. ولهذا لم يكن غريبا أن يظن بعض الناس، أن المسيح هو النبي إيليا الذي وعد الله بإرساله. لعل السؤال الآن هل أتى النبي إيليا قبل مجيء المخلص المسيح كما تنبأ ملاخي؟ لأن المسيح كما نعلم لم يكن هو النبي إيليا. للإجابة عن هذا السؤال نقول: نعم إن النبي إيليا قد أتى، لكن الناس لم تعرفه. فمن هو هذا يا ترى النبي إيليا الذي لم تعرفه الناس؟

تحدث مرة المخلص المسيح إلى الجموع عن يوحنا المعمدان فقال: " هذا هو الذي كُتِبَ عنه ها أنا مرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك.. وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي." (بشارة متى ١٤، ١١: ١٠) كما لاحظنا قبل قليل فإن يوحنا المعمدان، كان هو الذي مهّد الطريق أمام المخلص المسيح بحسب نبؤات العهد القديم. لكن يوحنا المعمدان أو النبي يحيى، كان هو أيضاً النبي إيليا الذي أرسله الله قبل مجيء المسيح. لقد أكد المسيح عن يوحنا المعمدان، أنه هو إيليا المزمع أن يأتي. والذي قصده المسيح هنا أن النبي يوحنا قد أتى بروح إيليا النبي. ولو درسنا حياة كل من النبي إيليا والنبي يوحنا المعمدان لوجدنا تشابها كبيرا بينهما.

وفي مناسبة أخرى سأل التلاميذ المسيح قائلين: "لماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً. فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء. ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا." (بشارة متى ١٧: ١٠-١٢) وعندها فهم التلاميذ أن المسيح كان يشير إلى يوحنا المعمدان، أنه هو إيليا الذي أتى ولم يعرفه الناس، بل اضطهدوه وقتلوه. لم يكن غريباً إذن أن يظن البعض أن المسيح هو إيليا النبي الذي وعد الله بأن يرسله.

نعود مرة أخرى إلى إجابة التلاميذ للمسيح عن سؤاله: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ فلقد ظن آخرون أن المسيح هو إرميا النبي. أما سبب ذلك فربما لأنه كان يعتبر من الأنبياء العظام في العهد القديم. أما آخرون فلقد اعتقدوا أن المسيح هو واحد من الأنبياء، أي هو نبي كباقي الأنبياء. فبالنسبة لعامة الشعب فلقد ظهر لهم المسيح كنبي عظيم يصنع المعجزات الباهرة، ويتكلم بأقوال الله العجيبة.

وأنت صديقي المستمع من هو المسيح بالنسبة لك؟ مع العلم أننا سنتابع في اللقاء القادم القسم الثاني من سؤال المسيح لتلاميذه وهو: وأنتم من تقولون إنني أنا؟ حيث سنكتشف حقيقة شخصية المسيح. فإلى اللقاء.